

(٢)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ)

صدق الله العظيم

دراسي عن

فاتحة الكتاب

لشيخنا ومريتنا العارف بالله

فضيلة الشيخ / ماهر اسماعيل جاهين

رحمته الله ورضي عنه

وجزاء من الإسلام والمسلمين خير الجزاء

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

أخي الموحّد

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته • ومغفرته ورضوانه • أسأل
الله لي ولأخي المؤمن ولعامّة المؤمنين وخاصّتهم التوفيق
والسداد بمنه وجوده وكرمه ، إنه نعم المولي ونعم النصير •

أخي المؤمن

بين يدي أخي الكريم درس من الدروس الإيمانية التي كان يجود
بها الحق علي يدي مولانا العارف بالله فضيلة الشيخ / ماهر
إسماعيل جاهين - رحمه الله ورضي عنه ، وجزاه عن الإسلام
والمسلمين خير الجزاء •

وإذا قلت لأخي إن تاريخ هذه الدروس يرجع إلى السبعينات
ولكنها لم تنشر إلي الآن سيعجب أخسي ويقول أين كان
المستمعون ؟ وهنا يرد العارفون بالله ويقولون ما قاله مولانا
الراحل فضيلة الشيخ الشعراوي رضي الله عنه ورحمه وجزاه
عن المسلمين خير الجزاء •

لكل شئ ساعة ميلاد

وكانت ساعة الميلاد حينما تلقى أخ مؤمن (شريط الكاسيت) ليستمع إلي درس الشيخ فبهرته عباراته ، ووصلت إلي قلبه كلماته . هذا ولقد صدق بعض العارفين حينما قال (إن لله عبادة كلما اشتدت عليهم ظلمة الوقت كلما قويت أنوارهم . فمثلهم كمثل الكواكب كلما قويت ظلمة الليل قويت أضواؤها وأين أنوار الكواكب من أنوار قلوب أوليائه ؟ أنوار الكواكب تنكدر . وأنوار قلوب أوليائه لا إنكدار لها . فأنوار الكواكب تهدي إلي الدنيا ، وأنوار قلوب أوليائه تهدي إلي الله .^(١)

وهكذا وبعد أن إستمع أخي الطيب إلي ما أستمع نفسي وقتئذ فسهر ليله وإعتكف في حجرته ليسجل وينقل إلينا هذه الإشارات الربانية كي يعم النفع وصدق سيدنا رسول الله صلي الله عليه وسلم حينما قال (رَبُّ مَبْلَغٍ أَوْعِي مِنْ سَامِعٍ) . هداي وهداك الله أخي سواء السبيل وجمعني وإياك علي صراطه المستقيم وفي جنة (عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين) صدق الله العظيم .

^(١) لطائف المنن لابن عطاء الله السكندري .

رجاء واعتذار

أخانا الكريم :

نرجو أن تفتح لنا قلبك قبل أن (تستمع إلينا بأذنك)
ظلت هذه التسجيلات زمناً غير قصير ، و خشينا أن تمتد إليها
أيدينا فنخرج بها عن المراد حينما نلجأ إلى تغيير أو تبديل ،
و كنا نحس بعبء المسؤولية لقصور أفهامنا ، وضعف إدراكنا ،
حتى قبض وهياً الله لنا أخاً شجاعاً فبدأ بالنقل • ونحن بدورنا
شد الله أزرنا ووجهنا إلى العمل ، فقلنا لعل ذلك إذن من
السماء بنشر هذا العلم الجليل •

هذا : وبعد ممارستنا هذا العمل نعتذر للسادة القراء و المحبين
من ساق الله إليهم هذا الغيث و الرزق العظيم مما يلمسونه بين
أيديهم •

نقدم هذا ونحن نعتذر عن كل تكرار ، أو إسطراد ، أو ضعف
للربط بين أطراف الحديث ، وتلك طبيعة الدروس حيث
تختلف كثيراً عن المحاضرة ، لإختلاف مستويات السامعين ،
وتفاوت مداركهم . و كثرة الأسئلة المتعاقبة التي تدفع كل من
يتصدي للدرس بإعادة معلومة أو تكرارها • ، بل وكانت

الأسئلة أحياناً تدفعه (رضي الله عنه ورحمه) إلى أن يخرج
عن الموضوع ذاته وحرصاً منا علي المحافظة علي (الهيكل
العام للدرس) آثرنا أن ندون الكثرة الكثيرة مما قاله الشيخ ولم
نحذف إلا القليل - عملاً بنصيحة داعية إسلامي كبير كان
قد إستمع إلى الشيخ وجلس معه . قال : لو كنت مكان من
يتصدي لعمل من أعمال هذا الرجل الجليل أُلهم . لما حذف
كلمة واحدة مهما تكررت ، لما أري في كل كلمة من كلماته
نوراً وإخلاصاً فمعذرة حيث تركنا الأمر لإخواننا نفعلنا
ونفعلهم الله بما نسمع ونقرأ فنستخلص ويستخلصون معنا ما
أفاض الله علي الشيخ (رحمه الله) من علم .
وأملنا في هذا النشر أن ينفع الله به عباده المؤمنين ، فإن كان
التوفيق فهو من الله وحده / وحده ، وحده . وإن كان غير
ذلك نقول لأخينا القارئ (فاصفح الصفح الجميل) .
وما توفيقنا إلا بالله

أمل ورجاء

نأمل بمشيئة الله حينما يوفق أخونا إلي تسلم نسخة
من هذه الكتيبات ألا نقف بهذا العلم عند القراءة
وكفي .

بل كل ما نأمله لنا ولإخواننا القراء جميعاً أن
يتحول العلم إلي سلوك وممارسة حسب توفيق الله
لنا .

كما نرجو أن تنقل هذه المفاهيم إلي إخواننا
المؤمنين إما مشافهة ، أو بتبادل القراءة .
والله ولي التوفيق ،،،

المعاني التي دار حولها الدرس

- (١) للإيمان ركائز وأسس لا بد أن يقوم عليها •
- (٢) الله سبحانه غيب ، وصفاته غيب • ولا يمكن إدراكه عز وجل ، ولا تصوره •
- (٣) من ثمرة الإيمان بالملائكة الكرام الكاتبين بعد المسلم عن المعاصي وتعجيل التوبة •
- (٤) لما علم الحق عجز المخلوقات عن حمده حمد نفسه سبحانه ، وطلب من المؤمن ترديد هذه الصيغة (الحمد لله)
- (٥) معني كل من الربوبية والألوهية •
- (٦) الإيمان درجات - علم يقين - عين يقين - حق يقين
- (٧) المسلم يلقي جزاءه من ربه علي حسب عمله وجده في الدنيا •
- (٨) ما في الأذان من خير كثير • كما أنه من المعينات التي تساعد المؤمن علي إقامة الصلاة ، وكمال الخشوع •
- (٩) من أكبر منن الله علي عباده المؤمنين أن جعلهم في الدنيا في مرافقة الصالحين ووعدهم بمصاحبتهم في الجنة •
- (١٠) الفرق بينا وبين الصحابة في مفهوم معني الإيمان •

(١١) ثلاث مهلكات : أنا ، لي ، عندي •

(١٢) بينت سورة العصر أن الإنسان في خسارة دائمة إذا لم

يستغل وقته فيما يرضي خالقه • و استعمل غرائزه في

طاعته •

(١٣) معني إلهام التقوى ، و إلهام الفجور ، والفلاح

كل الفلاح في انتصار إلهام التقوى •

والله المستعان ، وهو وحده ولي التوفيق ،،،

فاتحة الكتاب

عندما سئل سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن

الإيمان :

قال ما معناه " أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسوله .
واليوم الآخر ، وأن تؤمن بالقضاء خيره وشره ، حلوه ومره "
الله سبحانه وتعالى غيب . وصفاته غيب ، لا يمكن إدراكه ولا
يمكن تصويره عز وجل ، لذا كان الإتيان بالملائكة والإيمان
بهم كعامل مساعد للإيمان بالحق ، لينمو إيمان المؤمن ويرقي
العبد ، وتعظم صلته بخالقه . والإيمان بالله لا حدود له .
(ليس كمثله شئ وهو السميع البصير) ومعلوم أن صلتنا بكل
المخلوقات تنتهي بمجرد الموت ، كالملائكة التي تُدُون عني
العباد أعمالهم .

أما الله سبحانه وتعالى فكل المخلوقات قائمة به لا انفكاك لها
عن الربوبية في الدنيا ، ولا في الآخرة .

ومن أكبر ما يفيد المؤمن في حياته ثقته بأن عليه مراقبة سماوية .
ومثل هذا المؤمن يخاف أن يعصي ربه ، ومثله كمثل من أخبر
بأنه مُراقب من رجال الشرطة ، لذا تجد هذا الصنف من الناس

يعيش في حيلة شديدة ، وحذر تام • وشأن المؤمن الذي يؤمن
بالكرام الكاتبين أن يخشي الوقوع في المعصية كما بينا • وإذا
ما وقع فإنه يسارع بالتوبة كلما عصي سيده •

كما ان المسلم لو آمن باليوم الآخر لكان إيمانه به من أكبر
دوافع العمل لله أملاً في الثواب ، وخوفاً من العقاب ، لأن
التاجر يُقدر الربح قبل البدء في شراء الصفقة ، ولولا تقديره
الربح لما أقدم علي الشراء • وكذا الزارع يزرع • ولو علم
أن الدودة ستأكل المحصول لو تيقن هذا جيداً لما أقدم علي
الزراعة ، و أراح نفسه • واحتفظ بنقوده • إذا فطبيعة الحياة
وسنة الكون أن الإنسان لا يعمل ولا يكسب ، ولا يشقي إلا إذا
تيقن الكسب • لذلك جاء قول الحق في سورة الفاتحة (مالك
يوم الدين) أي يوم الجزاء ثواباً و عقاباً •

جاءت الآية الكريمة مبشرة ومُنذرة • مبشرة للمؤمنين •
ومُنذرة للعصاة والكافرين ، وقبل أن نتناول الآية الكريمة
بالعرض (مالك يوم الدين) أتركها الآن لأبين معنى قول الحق
(الحمد لله رب العالمين) ، ولنعرض لمعاني السورة الكريمة
عرضاً سريعاً ، ونسأله سبحانه وتعالى التوفيق والسداد •

(الحمد لله رب العالمين) لما علم سبحانه عجز المخلوقات عن حمده حمد نفسه بنفسه . وكلف المخلوقات أن تُردد هذا الحمد . وحديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو سيد المخلوقات . وأعرف الخلق بربه سجل عليه الصلاة والسلام - هذا العجز بقوله عليه أفضل صلوات الله ، وأجل تسليمات الله . ما معناه :

(سُبْحَانَكَ • لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ • أَنْتَ • أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَيَّ نَفْسَكَ ، عَزَّ جَاهُكَ • وَجَلَّ ثَنَاؤُكَ ••• الْحَدِيث)

والمؤمن يحمد الله أن هياً له شرف الوقوف بين يديه سبحانه ، وأي شرف للمؤمن أعظم من هذا الشرف ؟ وأي أمان يشبه هذا الأمان ؟ وأية متعة تقترب من هذه المتعة ؟ وأي تجل للمؤمن يتمناه أعظم من هذا التجلي . ؟ ولذلك جاءت الصيغة (الحمد لله) بالجملة الاسمية التي تُفيد التقرير ، والثبوت والدوام . وهو وحده المختص بالحمد . فلا يُحمد سواه وليست هناك صيغة يُحمد بها غير هذه الصيغة التي اختارها الحق لنفسه ، و اكتفى بترديد العباد لها . فلعلهم يعيشون ويتعايشون معها ، و يتفاعلون بها حتي تنزل عليهم

رحمات خالقهم • و حينئذٍ يصبحون مؤهلين لتلك الرحمات التي
تُعمهم في الدنيا والآخرة •

(رب العالمين) رب البرية كلها • إنسها وجنّها وملائكتها •
وكل من في السموات و الأرض وكل ما في الأرض من دواب
وطيور و • • • ولقد صدق الحق في كتابه العزيز (وما
من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أممٌ أمثالكم ما
فرطنا في الكتاب من شيء) •

ولكي نفهم معنى الربوبية • ومعنى الألوهية : الربوبية (ماهو
من الله إليك) فالعبد المؤمن يعيش في نعمة الخلق (الإيجاد)
حيث أوجده من عدم ونعمة الإمداد المثلة في نعم الله المتتالية
علي عباده • والربوبية تقتضي الرعاية القيومية • فهو وحده
سبحانه القائم بشئون خلقه ومعنى (الألوهية) ماهو منك أيها
العبد إليه سبحانه وهي عبارة عن التكاليف التي افترضها الحق
علي عباده ليؤدوها كي يفوزوا برضي الله سبحانه وتعالى
(الرحمن الرحيم) " الرحمن " صفة ذات لا يوصف بها إلا الله
سبحانه وتعالى - (الرحمن) صفة تعم المؤمنين و الكفار في الدنيا
فالكافر يعيش في الدنيا بهذه الصفة • ويرزق بها ويتمتع

لأن صفة (الرحمن) تشملهُ - بصفة (الرحمن) تطيب للكافر دنياه فتراه يبتكر ، و يخترع ، و يملأ الدنيا حضارة ، و بصفة (الرحمن) يُمهله الله للآخرة فلا يعذبه . كل هذا من تجليات صفة (الرحمن) . و صفة (الرحيم) خاصة بالمؤمنين حيث تتسع رحمته في الآخرة اتساعاً يتناسب مع أسمائه الحسني . (مالك يوم الدين) كما قلنا قبل ، هو يوم الجزاء ثواباً و عقاباً . هذا ولقد بين (رضي الله عنه ورحمته) أن الإيمان بالآخرة درجتان : الدرجة الأولى (أن يؤمن المسلم بالبعث . وأن هناك آخرة . و هذه درجة العوام . أما الدرجة الثانية . وهي درجة الخواص . أن يؤمن بالآخرة تفصيلاً . من حيث التفاوت في الثواب و العقاب . ففي الجنة درجات . وفي النار دركات وفي الآخرة صراط ، حشر ، ميزان الخ . ما يتعلق بالآخرة ، ولذلك جاء القرآن الكريم داعياً ، وموقظاً لكل أعمال الخير حيث صور جزاء المؤمنين فقال :

(١٠٠) علي سرر موضونة • متكئين عليها متقابلين • يطوف عليهم ولدان مخلدون^(٢) • بأكوابٍ وأباريق وكأس^(٣) من معين • لا يُصدعون^(٤) عنها ولا ينزفون • وفلكهه مما يتخيرون • ولحم طير مما يشتهون • وحورٌ عِين • كأمثل اللؤلؤ المكنون^(٥) • جزاء بما كانوا يعملون • لا يسمعون فيها لغواً ولا تأثيماً • إلا قيلاً سلماً سلماً) •

كما جاء القرآن منذراً ومخوفاً من كل أعمال الشر والكفر والعياذ بالله • فقال وقوله الحق :

(وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال • في سموم^(٦) وحميم^(٧) وظل من يحموم^(٨) لا بارد ولا كريم • إنهم كانوا قبل ذلك مترفين^(٩) وكانوا يصرون علي الحنث العظيم^(١٠) الي قوله عز وجل : (٠٠) إنكم أيها الضالون المكذبون • لاكلون من شجر

(١) الآيات من سورة الواقعة : موضونة : منسوجة من الذهب المحكم (٢) لا يتحولون عن

هيئتهم (٣) كأس فيه خمر

(٤) لا يصبهم صداغ • ولا تذهب عقولهم •

(٥) نساء بيض واسعات العيون •

(٦) السموم : الريح الحارة الشديدة •

(٧) الحميم : الماء البالغ في الحرارة •

(٨) دخان شديد السواد •

(٩) كانوا عصاة متبعين لأهوائهم •

(١٠) الذنب العظيم •

من زقوم^(١١) فمالئون منها البطون • فشربون عليه من الحميم •
فشربون شرب الهيم^(١٢) • هذا نزلهم يوم الدين^(١٣))

ولقد ضرب الشيخ رضي الله عنه مثلاً للإيمان العام الذي يمثل
الدرجة الأولى فقال - كلنا نسمع أن هناك دولة اسمها
(أمريكا) ولكننا لا نعلم عنها أكثر من هذا •

الدرجة الثانية : أن يعلم الإنسان مناخها واقتصادها ،
وأوضاعها الاجتماعية ، وأن يدرس ذلك دراسة مستفيضة
بحيث يلم بكل شئ عنها • ومثل هذا شأن خواص المؤمنين أن
يعلموا و يتقنوا كل ما يعينهم على التقرب من ربهم •
واستشهد بمطلع سورة (لقمان) ألم • تلك آيات الكتب
الحكيم • هدي ورحمة للمحسنين • الذين يقيمون الصلوة
ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون) ثم قال : ساداتنا
أرباب اللغة يقولون في قوله عز وجل : (وهم بالآخرة هم) أن
هم الثانية تأكيد للأولي • ونحن نقول ما يفيدنا من معني ، وهو
أن هم الأولي للإيمان الإجمالي • وأن هم الثانية للإيمان التفصيلي

(١١) شجرة تخرج في أصل الجحيم •

(١٢) الإبل العطاش •

(١٣) هذا ما أعد لهم من الجزاء •

ثم بين مراتب الإيمان فقال : الإيمان ثلاث مراتب :

(أ) علم يقين • (ب) عين يقين • (جـ) حق يقين :

فقال مثال علم اليقين أن يحتاج الإنسان إلى طبيب باطني •
و حين يريد الذهاب إليه يمر علي أخصائي عيون أو أسنان أو
جراحة • مثلاً : كل ذلك لا يلتفت إليه • ولكنه يذهب إلى
الطبيب الباطني بالذات لتيقنه أن هذا هو التخصص المطلوب
له • وهذه هي المرتبة الأولى وهي علم اليقين : أما عين اليقين
حينما يتعاطي الدواء ، ويشعر براحة ، فهذه المرتبة هي عين
اليقين أما المرتبة الثالثة فعندما يتخلص من مرضه تماماً
و تذهب كل آثاره فهذه المرتبة هي حق اليقين • وهي أعلي
مراتب الإيمان •

علم اليقين يكون بالموافقة بمعنى أن يتلقي الخير ممن لا يشك في
صِدْقِهِ • عين اليقين بالممارسة بالعمل الذي يثبت له صدق ما
سمع • حق اليقين يكون ويتم بالتأكيد الذي لا يتخلله شك •
ثم بين ذلك في سورة التكاثر :

(أَلْهَكُمُ التَّكَاثُرُ •• حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ •• كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ••
ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ •• كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ •• لَتَرُونَ

**الجحيم .. ثم لترونها عين اليقين .. ثم لتُسئلن يومئذٍ عن
النعيم) .**

و المعنى و الله أعلم بالمراد . شغلكم حب الدنيا ، و التكاثر في
جمع المال ، و التطلع إلى السلطة وافتخاركم بالبنين عن طلب
الآخرة ، والاستعداد لها . هذا ولنعلم جميعاً أن طلب
التكاثر يستوي فيه من طلب المليارات ومن طلب القليل إذا ما
حرص علي الكثره بحيث شغله طلب الكثرة عن القيام بأوامر
ربه (**حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ**) في الآية دليل قوي للرد علي من أنكر
البعث ، واعتبر أن الموت هو المرحلة التي ليست بعدها مرحلة
ولذلك جاءت الآية دامغة لتلك الأقاويل الباطلة حيث عبرت
بل أكدت أن مرحلة البرزخ في القبر مرحلة قصيرة تشبه زيارة
الضيف لأنه غير مستقر . فليس وجوده عند المضيف وجود
إقامة بل هي إقامة مؤقتة وقصيرة . ولذا شبهها بالزيارة (**كَلَّا**)
حرف زجر للإنسان صاحب العقيدة الفاسدة (**سَوْفَ تَعْلَمُونَ**)
قال سادتنا العلماء : العلم الأول عند الموت ، العلم الثاني :
عندما يُبشّر المتوفى : العلم الثالث عند سؤال الملكين للعبد
وسماعه البشري من الملكين . وهنا وصل إلى حق اليقين بعد

سماعه تلك البشري و تكرير العلم في السورة الكريمة فيه
إنذار • وأما قوله سبحانه (**لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ**) لأن هذا
هو الذي سيدفع العبد إلى العمل إِمْتِثَالاً لأمر ربه •

وبعد أن بينا المراتب الثلاث نقول أن درجات الدين ثلاث :

أ - إسلام / ب - إيمان / ج - إحسان •

فالإسلام عمل الجوارح • مثل الركوع والسجود ، والقيام ،
والجلوس للتشهد أما الإيمان : فهو الاعتقاد القلبي و اليقين بما
يؤديه المسلم وبما سيحصل عليه من جزاء خيراً كان أم شراً •

والإحسان : هذه المرتبة العليا نجدها واضحة في قول الله (**قَدْ**

أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ • الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ) ولن يتأني

الخشوع من المؤمن إلا إذا كان قد وصل إلى ما وضحه سيدنا

رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديثه الشريف مُبيناً مرتبة

الإحسان فقال (**أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ • فَإِنْ لَمْ تَكُنْ**

تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ) •

هذا وكل عبادة تتمثل فيها المراتب الإيمانية الثلاث • إسلام ،

إيمان ، إحسان و المسلم يلقي جزاءه من ربه علي حسب عمله

وجده في الدنيا ، و استدل الشيخ بقول الحق (**ثُمَّ أَوْرَثْنَا**

الكتب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالمٌ لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير)

هذه الأنواع الثلاثة ستدخل الجنة بمشيئة الله ، مع تفاوتهم في المراتب و الدرجات ، ولكن الظالم لنفسه سيدخلها متأخرًا ، وهذا التفاوت يظهر في الصلاة حيث تتفاوت المراتب والدرجات و الحسنات والقُرب و البُعد ، وصاحب الإحسان هو الذي يعيش مع قول الحق تبارك وتعالى (وإياك نستعين) فلا يري غيره معينا ، ولا يري غيره هادياً ولا يري غيره مجازياً ومُكافئاً ثم أراد الشيخ رضي الله عنه أن يضرب مثلاً في تفاوت الناس في الدنيا لتحقيق الصورة فقال : رجل أعطي لأولاده الثلاثة لكل منهم ألف جنيه ليتكسبوا : الأول صرف مبلغه في رغباته وملذاته ، فلم يستدم معه المبلغ وقتاً طويلاً ، أما الثاني فقد أُتجر في المبلغ ، ولكن تحركاته متوسطة ، أما الثالث فجد وصابراً وسافراً وكافحاً وظل يُغامر حتي ربح الكثير ، فلا شك أن حُكماً علي الأول هو الظالم لنفسه ، والثاني المقتصد ، والثالث هو السابق بالخيرات ، والمؤمن يحاول أن يربط أمور الآخرة بالدنيا حتي يدفعه هذا إلي الجد والإخلاص ، ونحن

نتساءل : لم كان الأول ظالماً لنفسه ؟ لأنه لم يأت بالتكاليف الشرعية علي وجهها الصحيح وعاش مع نفسه كثيراً ، و الثاني تباطأ وتهاون نسبياً ولم يُشمر عن ساعد الجِد ، وأما الثالث (سابق بالخيرات بإذن الله) هذا الصنف هو ممن قال الله فيهم (ما يزالُ عبدي يتقربُ إليَّ بالنوافل حتي أحبه) فأنظر رحمك الله إلي التعبير بقول الحق (ما يزالُ) التي تُفيد الدوام والإستمرار ، يتقرب إليَّ بالنوافل معني ذلك أنه استوفي الفرائض وبدأ يُغطي ويزيد بالنوافل (وهل جزاءُ الإحسان إلا الإحسان) .

ثم استطرد الشيخ رحمه الله يبين ويوضح مدي عظمة هذا الدين ويُبين مدي رحمة الله بعباده حيث سنت شريعة سيدنا رسول الله صلى الله عليه سُنة كثيرة ، وذات ألوان متعددة كي تُعين المؤمن علي السداد وضرب المثل بالصلاة ، لأنها العبادة المتكررة و اليومية ، ومن شأن العبادة اليومية أن يكثُر رصيد المؤمن فيها من الحسنات عند الاستدامة والإخلاص : فقال : خذوا مثلاً الصلاة . ما الأمور المعينة للعبد علي إتقانها ؟ كما قلنا في غير هذا الموضع نبدأ الصلاة من

الاستنجاء • أليس عبادة ؟ أليس فيه اتباع للمُشرع الأول
صلوات ربي وسلامه عليه ؟ الوضوء بفرائضه وسنته • نعم
أقول وسنته التي ربما يغفلها بعض المسلمين • فإذا ما أردت
توجيهه رد عليك بقوله (إنها سُنّة) وهذه العبارة أصبحت
تشيع علي السُنّة الكثيرين من المسلمين ، وهم يقولونها
باستخفاف ، وكأنهم يرمزون بهذا إلي أن هذا شيء صغير
لا يُلْتَفَت إليه ، أما علموا أنهم بهذا كأنهم لا يعترفون
بشطر الشهادة (أي بنصف الشهادة) لا إله إلا الله محمد
رسول الله •

ولو تأملت أخي المسلم دينك الخفيف لوجدت أن كل ركن من
أركان الإسلام فيه الفرض ، وفيه السُنّة : الصلاة مثلاً :
الفرض فيها صلاة الظهر ، السُنّة هي الركعات قبل الفرض
وبعده • الصيام • شهر رمضان هذا هو الفرض • السُنّة
الثلاثة أيام البيض أو صيام الاثنين والخميس ، تاسوعاء ،
عاشوراء • الزكاة : الفريضة فيها رُبْع العُشر في المال • وفي
بقية الأصناف ما أمر به الشارع الحكيم . الحج هو الفريضة
في الأشهر المعلومات : العُمرة سُنّة طيلة العام • وهذا معني

قول المسلم في شهادته : (أشهد أن محمداً رسول الله) لتكون
الشهادة عملياً ، و يكون الاقرار جازماً - بهذا يتقرب
المسلم و يتفاعل بالعبادة • وحينئذٍ يجني بمشيئة الله ثمرة
إخلاصه وقربه من ربه •

ثم ثني من المعينات علي إقامة الصلاة؛الأذان؛فقال أريد أن
أسأل ما شعور المؤمن حينما يسمع الله أكبر • الله أكبر • هل
المؤذن يعلم بأذانه كل الناس مؤمنهم وكافرهم ؟ أم يدعو
طائفة معينة خاصة وهم الذين أسلموا وجوهمهم لله • فارتبطوا
به سبحانه رباً ، وبسيدنا محمد رسول الله صلي الله عليه
وسلم نبياً ورسولاً ؟ نعم هؤلاء الذين ينادي عليهم ، لأنهم
أهل الاستجابة •

الله ينادي المؤمن • فهو سبحانه لا يناديه باسمه • بل بصفته
التي بايع بها ربه • ثم يضع عبده في دائرة الاختبار حينما
يسمع (الله أكبر) ومعني هذا أترك كل ما أنت عليه من
الدنيا ، وبمقتضي العهد الذي عاهدتني عليه أحضر إلي بيتي وأد
ما افترضته عليك ، لتقيم الدليل علي عبوديتك لخالقك •

وعلي المؤمن أن يستحضر مصلحته الخاصة التي ستعود عليه
من صلاته حتى يُتقنها ، و عليه أن يرتبط بالله رباً معبوداً ،
وبسيدنا محمد رسول الله صلي الله عليه وسلم متبوعاً .
ثم نذيب إرادتنا كمسلمين في إرادة سيدنا رسول الله صلي الله
عليه وسلم ولذلك كانت الله أكبر الأولي في الصلاة من أكبر
المعينات للعبد التي تُقيّة حقاً للوقوف أمام خالقه . ثم تأتي
الله أكبر الثانية إعلماً للقلب حتى يُقبل العبد علي ربه بكليته .
ثم تحي الصلاة معه في المرحلة الثانية ، فما بالكم إذا أدي سُنّة
رسول الله صلي الله عليه وسُقت الفريضة بنافلة ؟

ومن حرص علي النوافل القبلية فهو أشد حرصاً علي النوافل
البعدية اعتذاراً لما حصل في الصلاة من تقصير وقصور . وجبراً
لما تسرب إليها من سهو و غفلة .

(إياك نعبد) تقابل صفات الربوبية التي تتزل بها النعم
علي جميع خلقه سبحانه (وإياك نستعين) تقابل صفات
الألوهية . وفيها تجريد عن الحول و القوة . و تسليم الأمر لله
عز وجل ، وطلب الهداية منه و الإيمان بالوعد و الوعيد -
ها هو ذا المسلم بعد أن توضأ وسمع الأذان وبعد أن هيا نفسه

لأن يلتقي بربه في الصلاة • ماذا يفعل وهو المخلوق الضعيف
بعد أن شرفه الحق بأعظم ما يتمنى المؤمن وهو المثل بين يديه
سبحانه • لاشك أنه تلقائياً وبعد أن رُشح لهذا المقام الجليل
وعمل بقول الله • (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ**
إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ) لاشك أنه سيطلب الهداية ممن يملك
الهداية •

(**إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ**) هنا كان حقاً علي الله الرحيم
الكريم أن يُطمئنه إلى استجابة طلبه ، خاصة بعد ما قام به من
أعمال كلها موافقة لشريعة الله ورسوله • (**الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ**)
الطريق الذي لا اعوجاج فيه • لكن كرم الله وعفوه هدي
عبده إلى الصراط الجزائي الذي بيّنه في قوله سبحانه (**صِرَاطَ**
الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ) و المسلم لا يستطيع أن يُدرك ماهية
الصراط • ولكن الله يبين لعباده أنهم سـيـتـفـعـون بعطائه
سبحانه وتعالى ، لأن المؤمن سيلقي الله بالجزاء لا بالعمل الذي
عمله ، لأن العبادة تُقدر بالكيف لا بالكم • ثم من هم الذين
انعم الله عليهم ؟ هم أهل خاصته الذين فتح لهم باب المعية
فلهم يغيبوا عن مشاهدة فضلة ساعة من الزمان ،

ولم يتكاسلوا ، ولم يغفلوا ولم يتواكلوا • بل عاشوا حياتهم
في مشاهدة الحق جل وعلا : (قل إن صلاتي ونسكي ومحياي
ومماتي لله رب العالمين • لا شريك له • وبذلك أمرت وأنا أول
المسلمين) •

(الذين أنعم الله عليهم) هم الذين وضحتهم الآية : (ومن
يُطع الله و الرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من
النبيين و الصديقين و الشهداء و الصالحين وحسن أولئك
رفيقا) فإذا لم تستطع أن تكون مع الصديقين فلتحاول أن
تكون في ركب الشهداء ومعيتهم ، فإذا لم تتمكن أن تكون من
هذا ولا ذاك • فعليك أن تحمد الله حيث جعلك في ركب
الصالحين وهم عامة المؤمنين لأن الله مدحهم جميعاً بقوله •
(وحسن أولئك رفيقا) •

(غير المغضوب عليهم) هؤلاء هم الذين لم تشملهم عناية الله •
ولم يحل عليهم رضوانه • فتركوا الصلاة ، وانهمروا في
الشهوات (نسوا الله فأنساهم أنفسهم) •

(ولا الضالين) هم الذين ضلوا الطريق السليم ، بأن عملوا
لكن بأعمالهم خلل وهم الذين ينطبق عليهم قول الله تعالى :
(قل هل أنبئكم بالآخسرين أعمالا • الذين ضل سعيهم

في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا) •

ثم قال (رضي الله عنه ورحمه) من عظمة فاتحة الكتاب ومن أسرارها التي لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى أن كلفنا بقراءتها ١٧ سبع عشرة مرة في اليوم و الليلة ، ونحن نعرض أنفسنا علي الله متمتعين بقراءتها ثم قال رضي الله عنه (والحقيقة التي أعرفها أن الحق سبحانه وتعالى هو الذي يقرأ القرآن علينا) ولذلك قال (**وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**) من القارئ ؟ أيا كان القارئ • ولكن أعلي الدرجات (هي درجة خواص الخواص) أن نستمع إلي القرآن و نري و نعتقد أن الله هو القارئ •

وتحضرنا قصتان للسادة القراء للعة و الاعتبار ونحن بدورنا نسأل الله ألا يؤاخذنا ، لأننا لن نصل إلي المستوي الذي نستخلصه من القصتين • ولكن كما قال الحديث الشريف (**رُبُّ مَبْلَغٍ أَوْعِي مِنْ سَامِعٍ**) فربما يوفق الله قارئاً واحداً يكون أحسن من الدنيا ومن فيها •

الأولي : سمعناها من شيخنا ونحن نرويهـ كما سمعناها ، لنحاول أن ندرب أنفسنا علي التدبر • أراد شيخ أن يُربي

مُرِيدِهِ عَلِي التَّدْبِير فِي الْقِرَاءَةِ ، فَسَأَلَ الْمُرِيدَ : كَمْ جِزْءًا
(مَثَلًا) تَقْرَأُهَا فِي الْيَوْمِ ؟ فَقَالَ الْمُرِيدُ : أَقْرَأُ (خَمْسَةَ مَثَلًا)
فَقَالَ : اقْرَأْ وَكَأَنِّي أَسْمَعُهُ مِنْكَ • وَلَمَّا جَاءَ الْيَوْمَ التَّالِي ، سَأَلَ
الشَّيْخَ مُرِيدَهُ : كَمْ جِزْءًا قَرَأْتَ وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي أَسْمَعُهُ مِنْكَ ؟
فَقَالَ (أَرْبَعَةً) ثُمَّ قَالَ لَهُ : إِذْهَبْ وَتَدْبِرْ وَكَأَنَّكَ تَقْرُؤُهُ عَلَي
سَيِّدِنَا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ • وَجَاءَ الْمُرِيدُ وَسَأَلَهُ
الشَّيْخَ : كَمْ جِزْءًا قَرَأْتَ بَعْدَ أَنْ تَصَوَّرْتَ أَنَّ سَيِّدِنَا رَسُولَ
اللَّهِ هُوَ الَّذِي يَسْمَعُكَ ؟ قَالَ الْمُرِيدُ : قَرَأْتُ جِزْءًا وَاحِدًا ثُمَّ قَالَ
لَهُ أَخِيرًا : أَذْهَبْ وَكَأَنَّكَ تَقْرُؤُهُ عَلَي رَبِّ الْعِزَّةِ ، فَذْهَبَ
وَلَمَّا عَادَ فِي الْيَوْمِ الْأَخِيرِ قَالَ الشَّيْخُ : إِلَيَّ أَتَيْتَ وَصَلْتَ ؟ قَالَ
الْمُرِيدُ : بَدَأْتُ فِي فَاتِحَةِ الْكِتَابِ وَلَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أَنْطِقَ بِقَوْلِ
اللَّهِ (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) خَشْيَةً أَنْ يَفْضَحَنِي اللَّهُ إِذَا
أَشْرَكَتُ بِعِبَادَتِهِ أَوْ اسْتَعْنْتُ بِغَيْرِهِ ۝ هَكَذَا كَانَ يُرْبِي
الصُّوفِيَّةَ أَبْنَاءَهُمْ ، وَهَكَذَا أَخَذُوا بِأَيْدِيهِمْ • لِيَرْتَقُوا بِهِمْ
إِلَى التَّدْبِيرِ ، وَإِنْ كَانَ الْمَطْلُوبُ مِنْ

عَامَّةِ الْمُؤْمِنِينَ كَثْرَةُ التَّلَاوَةِ لَمَّا فِي ذَلِكَ مِنْ أَجْرِ كَبِيرٍ •

نعم أخذ الشيوخ بأيديهم إلى طريق الله يتعهدونهم ،
لا يغيبون عن مریدیهم • وكان المریدون أعظم الناس طواعية
لشیوخهم وأكثرهم استجابة •

أما القصة الثانية • ونحن بحمد الله نقص القصتين علي سبیل
التربية ، لا علي سبیل التسلیة •

وهذه القصة یرويها مرید من مریدی شیخنا رحمهما الله •
فقد لقیا ربهما یقول الأخ المرید • ذهبت لوداع الشیخ ،
والسلام علیه عندما أراد شیخنا الرجوع إلى وطنه • یقول
وكنت قد تأخرت فی الذهاب ، ولم أدركه إلا بعد أن ركب
القطار ، ودخل الدیوان ، وأغلق الباب علیه فأسرعت
وفتحت الباب الذی أحدث صوتاً عالياً ، وجلست فترة من
الزمن لیست بالقصيرة وأنا مجاور للشیخ ، لكنه لم یشعر بكل
هذا إلا ساعة أن التفت عن یمینه فوجدنی بجواره فقال أنت
ها هنا قلت نعم منذ فترة حدثونی بربکم یا إخوانی أين نحن من
هؤلاء؟ ولكننا حینما نرجع قليلاً إلى ما سبق أن بیناه عن
لسان الشیخ حینما قال أنا حینما أقرأ القرآن أسمعه وكأن ربی
هو الذی یقرؤه علیّ • ؟؟

فالله نسأل أن ينفعنا بتوجيهاتهم الكريمة .
ولذلك قال الشيخ إن التأمل لمعني قول الله : (إذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا . . . الآية) لابد وأن يدرك معني الاستماع الذي يريده الحق الاستماع بالقلب . وبكل الاحساسات و المشاعر . و الاعراض عن كل ما سوي الله :
ومن هنا كان المستمع جدير بقول الحق (لعلكم ترحمونه)
ولكنه الشيطان الذي يحاول دائماً أن يصرف المؤمن عن كل ما هو خير له . فلا يتدبر ولا يمس القرآن قلبه نسأل الله السلامة .

ثم عاد الشيخ ثانية إلى الأذان ليؤكد مرة أخرى أن الأذان كلماته كلها إقرار بوحدانية الله . قال و المطلوب من كل مسلم أن يردد ما يقوله المؤذن في قوله الله أكبر وكذا يردد الشهادة كما يسمعها ولكن عندما يقول المؤذن حي علي الصلاة يقول المستمع (لا حول ولا قوة إلا بالله) لأن المستمع سيتحرك إلى المسجد بعد سماع الأذان وسيدخل في الأعمال . فكان قوله لا حول ولا قوة إلا بالله إقراراً منه بأنه لا يري غير الله فاعلاً وموفقاً . فلا يشاهد نفسه في العمل الذي يعمله

وهذه العبارة (لا حول ولا قوة إلا بالله) أدق كلمة في التوحيد لأنها تلغي إحساس المؤمن بعمله ، حتى لا يحتجب عن خالقه بتصوره أنه يعمل بل تريد من المسلم أن يعيش مع ربه ، فلا يرى إلا الله فاعلا ، وموجداً ، وموفقاً ، ومن أجل هذا حرص سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عند إتمامه لأي عمل خيري أن يقول : (الحمد لله الذي هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله) .

وعبارة : لا حول ولا قوة إلا بالله ، شريعة وحقيقة . فكون المسلم أدي الصلاة المفروضة ووقعت منه الإقرار بهذا شريعة وحينما ننظر إلى أن الله هو الذي وفقه وهداه وأعاناه علي الذهاب إلى المسجد وهياً له كل السبل ، وليس بقدرته مخلوق أن يهديه وأن وأن . . . إلا الله هذه حقيقة . و أهل الإحسان هم الذين يعيشون في الحقيقة دائماً فيحتجبون بمشاهدتهم لله عن مشاهدة غيره . ولذا طلب من كل مسلم بل ومن كل داعية أن يهتم بترسيخ العقيدة .

قال الشيخ إن رسولنا صلى الله عليه وسلم وصفه ربه بقوله (. . . وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً) لأن دعوته عليه

الصلاة و السلام إلى ربه كانت مقرونة بالمشاهدة • فكان يُبشر بالجنة وهو ناظر إليها • و يُخوف من النار وهي ماثلة أمامه • ونحن نعلم جميعاً أن رسولنا صلي الله عليه وسلم مكث يُرْسَخ العقيدة ويشبثها ١٣ ثلاثة عشر عاماً • والطرف الثاني هم الصحابة • ولذلك قال الشيخ رحمه الله عبارة دقيقة :
(الصحابة آمنوا قبل أن يعملوا • ونحن عملنا قبل أن نؤمن)
والفرق واضح جداً أماننا • فالصلاة التي كان يصليها الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين هي الصلاة التي نُصليها • والصوم هو الصوم • و الزكاة هي الزكاة •

وهنا توجه أحد المستمعين بسؤال • ما معني صلاة العوام ؟
فأجاب الشيخ • هي أن يؤدي المصلي صلاته علي وجه السرعة • فلا اطمئنان ، ولا خشوع ، وثواب المصلي حينئذٍ ثواب الذاكر •

أما الصلاة الحقيقية فهي صلاة الخواص ، وهم أرباب الدرجات العُلا • أمثال سيدنا أبي بكر وبقية الصحابة ومن أتى بعدهم من الأبرار و المقربين • هذا مع ملاحظة أن باب الرضا والقبول سيظل مفتوحاً إلى يوم الدين • هذا ولقد وضح معني

قول الرسول عليه الصلاة و السلام في شأن تارك الصلاة •
(**من تركها فقد كفر**) • بمعنى أنه لا يُرفع له عمل فمثلته
مثل الكافر في أن عمله لا يُرفع •

ولذلك حث علي زيادة العمل وقال إن الإيمان يزيد بالعمل •
ويضعف ويقل بترك العمل • ويؤيد هذا الحديث الشريف
حيث قال المعصوم سيد الخلق ما معناه : (**من عمل بما علم**
ورثه الله علم ما لم يعلم) وجاءت الآية الكريمة مؤيدة
لهذا الحديث (**يأيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم**
فرقانا ٠٠ الآية) و استدل بآية أخرى (**الله ولي الذين آمنوا**
يخرجهم من الظلمات إلى النور) ثم قال • **مَنْ مِنَّا يشعر أنه**
في ظلمه ؟؟

الكون كله ملئ بالظلمات علي رأسها الكفر و العياذ بالله ،
الرياء علي قمة المعاصي : الغرور ، رؤية النفس ، واتباع
الهوى : ولذلك بين هذا قول سيدنا رسول الله صلي الله
عليه وسلم حيث قال في الحديث ما معناه : (**والله لا يؤمن**
أحدكم حتي يكون هواه تبعاً لما جئتُ به) وهذه مرحلة تحتاج
إلي جهاد مرير ، وصبر دائم • (**واستعينوا بالصبر والصلوة إن**

الله مع الصابرين) ثم اشار إلى المهلكات الثلاث فقال ثلاث
مهلكات • أنا ، لي ، عندي : (أنا) قالها إبليس عليه لعنة
الله (أنا خير منه خلقتني من نار • و خلقتك من طين) و (لي)
قالها فرعون اللعين : (أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار
تجري من تحتي) (وعندي) قالها قارون زاده الله خزيًا
(إنما أوتيته علي علم عندي) • وهنا لابد أن نقر ونشهد
بأن المحفوظ من حفظه ربه ، و المخذول من تخلي بفضله عنه •
ثم قال إن طغيان الإنسان وجبروته • لو لم يكن في الكون إلا
اثني لآله الإنسان نفسه علي من معه ثم استرسل مرة أخرى
ليبين معني قول الله (يخرجهم من الظلمات إلى النور) قال إن
رغيف الخبز يحجبك عن ربك لأنك دفعت نقوده من جيبيك •
إن المحامي الناجح يحجبك عن ربك حيث أسندت حصولك
علي البراءة له • إن الطبيب الشهير يحجبك عن ربك لأنك
رأيت فيه الشفاء • ولذلك جاءت الآيات القرآنية ضوءاً سلطعاً
يبدد هذا الشرك الخفي فقال عز وجل (والذي هو يطعمني
ويسقين وإذا مرضت فهو يشفين) •

وإذا فما المخرج ؟ وبم يعبر المؤمن عندما يتم له التوفيق في أمرها
شفائي الله بفضل علي يد الطيب (. . .) وحصلت علي
البراءة بتوفيق الله علي يد (. . .) وهكذا أظهرت الشريعة .
وأكدت الحقيقة التي تطمئن إليها قلوب الموحدين .

انظروا إخواننا إلى القرآن الكريم حينما يأخذ بأيدينا إلى الحق
في رفق وأناة : (^١) **فليَنظر الإنسان إلي طعامه .. أنا صببنا الماء
صبا .. ثم شققنا الأرض شقا .. فأنبتنا فيها حبا وعنبا ..
وقضبنا ^٢ وزيتونا ونخلا .. وحدائق غلبا ^٣ .. وفاكهة وأبا ^٤ ..**
متاعا لكم ولأنعامكم) ففي هذه الآيات يناقش القرآن الإنسان
في بيان واضح ومنطق لا يحتمل المغالطة أو النكران . حيث
أثبتت الآيات أن الطعام من كسب الإنسان لكن المؤمن لا يجعل
الأسباب حاجزا بينه وبين ربه .

فالآيات بينت صنع الزارع ، حيث كان كل عمله أن وضع
البذرة ورواها . لكن أنبت هو الله . لكن الذي شق الأرض
هو الله . لكن الذي أنزل الماء من السماء هو الله . لكن الذي

^١ الآيات من سورة عبس .

^٢ عفا رطباً لدواب .

^٣ بستين وأشجارا متكثفة .

^٤ كلاً وعشبا أو هو الثبن الخالص

هياً الانتفاع بها هو الله : ثم تُنبه الآيات الإنسان المغرور
المعرض عن ربه ، إذا كان عقلك وفكرك هو الذي صنع كل
هذا فمن الذي رزق الدواب ؟ فالمولى عز وجل بين هذا في الآية
(**مَتَاعاً لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ**) فسوّي بين العاقل وغير العاقل في
الحصول علي الرزق : (**وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ**
رِزْقُهَا) .

عرف الصحابة و التابعون و المسلمون المخلصون من بعدهم
التوحيد الخالص فعاشوا مع الرزاق . ولم تشغلهم النعمة عن
المنعم . ولقد صدق الحق في قوله : (**وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ**
اللَّهِ)

فلله الحمد و المنة

(**فَسَبِّحْ لِلَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ۝ وَلِلَّهِ الْحَمْدُ فِي**
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ)

صدق الله العظيم

وقبل الكلام عن سورة العصر تعرّض الشيخ (رحمه الله) لبيان
مدي تعلق وحب بعض الصحابة لسيدنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، أحيينا أن نذكره استزادة في العلم ، وعملاً
بالحكمة التي تقول (الحكمة ضالة المؤمن يَلْتَقِطُهَا أُنَى وَجَدَهَا)
روي عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ما معناه (أنه
سأل سيدنا ثوبان (رضي الله عنه) عن سبب الهزال
الذي نزل به ، فقال له عليه أجل صلوات الله ، وأزكي
تسليمات الله ، ما سر الهزال الذي أراه فيك ؟ فقال سيدنا
ثوبان (رضي الله عنه) يا رسول الله • تذكرت أن موقفي هذا
محدود لأني أمام أمرين الأول أن الموت سيترل بي •
ونحن الآن يا رسول الله نجلس معك فترة طويلة ، وهذه
سنُحرم منها بالموت ، فظلمت أفكر في هذا حتي رأيت ما نزل
بي • أما بعد الموت فأنا أمام أمرين: إما أن أدخل الجنة
فستكون درجتك يا رسول الله أعلي الدرجات • ودرجتي
قطعاً دونها • هذا إذا دخلت الجنة • الأمر الثاني إذا
دخلت النار عند ذلك لا أمل لي مُطلقاً في رؤيتك ، وهذا
هو ما أتعبني يا رسول الله فترلت الآية الشريفة مطمئنة لكل
النفوس المتعلقة برسول الله صلى الله عليه وسلم (ومن يُطع
الله ورسوله فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم

من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا (وكما قال سادتنا العلماء : (العبرة بعموم اللفظ ، لا بخصوص السبب) ثم قال الشيخ (رحمه الله) :
(الباب مفتوح لكل مسلم الى يوم القيامة • فلو أطعنا الله ورسوله • وأخلصنا في العمل لدخلنا الجنة • وتمتعنا برؤيتهم إن شاء الله •

ثم قال الشيخ : كل واحد من الصحابة أخذ درجة كاملة فقال : (سلمان منا آل البيت) ثم قال عن سيدنا أبي بكر رضي الله عنه (لو كنت مُتخذاً خليلاً غير ربي لاتخذت أبا بكر خليلاً) ثم روي أنه صلى الله عليه وسلم كان ذات يوم عاري الركبة وبعض الصحابة جلوس • وعندما دخل سيدنا عثمان رضي الله عنه (غطي سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ركبته فلما سئل عن ذلك • قال صلوات الله وتسليماته عليه : كيف لا أُستحي من رجل تستحي منه الملائكة ؟ ثم قال شهادة في حق كبار الصحابة ما معناه (أنا مدينة الكرم وأبـر بكر بابـها ، وأنا مدينة الشجاعة وعمر بابـها ، وأنا مدينة القرآن و عثمان بابـها • وأنا مدينة العلم و علي بابـها)

فصلوات ربي وسلامه عليك يا سيدي يا رسول الله • ورضي
الله عن أصحابك أجمعين • وعن التابعين وتابعيهم إلى يوم
الدين •

ثم وجه إليه رحمه الله سؤال عن سيدنا يوسف عليهم السلام :
(**ولقد همت به وهم بها • لو أن رأي برهان ربه**) فقال
الشيخ لابد لنا أن نستعرض الآيات السابقة حتى نلقي الأضواء
على الأمور التي تحتاج إلى بيان •

قال الحق تبارك وتعالى (**وراودته التي هو في بيتها عن نفسه
وغلقت الأبواب وقالت هيت لك قال معاذ الله إنه ربي أحسن
مثواي إنه لا يفlech الظالمون**) فقال أنا لا أحب أن أدخل في
التفاصيل ، لكني سأوجز الكلام ، وسأرد باختصار ، لأثبت
عصمة أنبيائه عليهم السلام •

قال الله وقوله الحق : (**وراودته التي هو في بيتها عن نفسه
وغلقت الأبواب وقالت هيت لك • قال معاذ الله إنه ربي أحسن
مثواي إنه لا يفlech الظالمون**)

قال الشيخ الغريزة في سيدنا يوسف عليه السلام موجدودة ،
والرجولة كاملة ، ولكن هناك أمر خارجي منعه ، هذا الأمر

الخارجي هو العصمة التي جعلته ينطق ويقول (معاذ الله إنه
ربي أحسن مثواي إنه لا يفلح الظالمون) .

ونحن بدورنا كمؤمنين نسأل : لو نظر أي نبي أو رسول إلى
امرأة أجنبية هل يتحرك شعور هذا الرسول ؟ نطن هذا من
الأمور المستحيلة لأن الله حينما اختاره رسولاً لابد أن
يعصمه ، ثم رجع الشيخ الى نظرتة في تناول المسلمين للقصة
فقال : إن الكثرة من الناس تتناولها للتسلية . ونحن بدورنا
نتساءل لو وجهنا لمن يسأل هذا السؤال : هل تظن بأبيك
وهو رجل صالح ظنك بسيدنا يوسف ؟ لاستعظم ذلك بالنسبة
لأبيه ولجري الغضب في عروقه ، و اعتبر ما تصورناه في أيه
إهانته له أما بالنسبة لسيدنا يوسف عليه السلام فالأمر محتمل .
كل هذا مع أن التعبير القرآني أولاً أبرز جوانب الإغراء في
المرأة . وأعطي صورة حية عن الأمان الشديد الذي صنعه
امرأة العزيز كي تحقق رغباتها من هذا الشاب الوسيم
الذي امتلك كل مشاعرها . بل سلب بجماله لبها حتى اختل
فكرها وتوازنها حيث أحست بأن الغريزة الملهبة التي تنهش
جسدها وأعصابها قد أنساها أنها امرأة العزيز وهو بواقعه

ذلك الشاب الذي فرض فيه أنه رهن إشارتها وأمام هذا الحدث الخطير . و هذا العرض المتبدل لابد لكل مسلم موحد أن يقف أمام هذا المشهد متأنياً ذاكراً لقول الحق (**ولا تقربوا الزني**) وجاء النهي منصباً علي القرب قبل أن ينصب علي الفعل ولقد صدق المعصوم صلوات ربنا وسلامه عليه (٠٠٠ من **حام حول الحمي يوشك ان يقع فيه**) .

ولقد تناول شيخنا الكريم موضوع خطورة الجنس . ومدي تغلب الغريزة علي الإنسان وأنها كالأفعي لا أمان لـها : قال رضي الله عنه : ليست الخطورة محصورة في ملابس المرأة ، ولا في تجملها ، إنما المرأة في ذاتها خطر شديد علي الشباب ثم ضرب مثلاً يلجم كل متشدد يدعي أنه محفوظ بطبيعته : فقال لو نام صبي أو شاب تحت غطاء ولم يُبين شيئاً من جسده مطلقاً ثم قلت لداخل الحجرة علي رِسْلِك إنها فتاة ماذا يحدث لو كان الداخل شاباً وسمع بأن النائم تحت الغطاء فتاة ؟ من غير شك لن تكون حالته عاديه عندما يسمع هذا . أهنأك خطورة بعد هذه الخطورة ؟

ثم لنعد إلى سيدنا يوسف عليه السلام ولنتأمل قول العلي الحكيم أولاً (وراودته) فكلمة المراودة تعني أنها فعلت ما يفعله المخادع الذي يَحْتال لِيعْلَب من أمامه ، وجمعت كل تحملها وصبرها أملاً في الظفر به .

ثانياً : وغلقت الأبواب . قيل كانت الأبواب سبباً فلم يقتصر الأمر علي إغلاق حجرة النوم وحدها ، هذا بالإضافة إلى قول الحق (في بيتها) ثم ماذا بعد أن صنعت ما صنعت : لم تترك حيلة إلا واستنفذتها لم تترك باباً إلا وغلقته كل هذه الأساليب الصامته . ولم تجد من نبي الله وحييه ما يشعرها بالأمل إذاً فماذا أبقت من سلاح للنساء ؟ آخر شيء نطقست به أنها رمت بأخر قذيفة قالت ماذا : ؟؟ (هيت لك) تهيات لك وتجملت وصنعت ما صنعت لك وحدك ؟

هنا أنصت كل لبنه في الجدران ، وأنصت كل نافذة في القصر لتسمع ماذا يكون الجواب بعد أن فعلت امرأة العزيز ما فعلت ، وأصبحت كالساجدة بين يديه . القرآن يحكي لنا الرد السريع الذي انطلق من فيه عليه السلام : انطلقت العبرة الكريمة كالسهم الصائب الذي حطم كل آمالها : انطلقت

كلمة العفه والتوحيد و شكر المنعم ، انطلقت العصمة صورة
حية يُرددها القرآن لتكون نبراساً لأهل العفة (معاذ الله ! إنه
ربي أحسن مثواي) و هذا هو البرهان الذي لجأ إلى الله به
وهو معني قول الحق في علاه (لولا أن رأي برهان ربه) •

ثم بدأ الشيخ رحمه الله يضرب للإخوة المستمعين أمثلة للعصمة
حتى تكون قريبة من أذهانهم فقال : يكشف الطبيب علي
السيدة المريضة فيكشف جسدها ، و يتلمس مواضع الداء
بيده؟ أين رجولته؟؟ أين غرائزه : هنا يظهر شرف المهنة
ليسيطر علي غرائزه فلا يكون منه ما يخل بشرف المهنة •

هناك مثل آخر : عندما تشتد برودة الجو ويلبس الإنسان
معطفا • أين البرد؟ هل ذهب؟ أم ظل البرد موجوداً ولكن
منع من الإحساس به لبس المعطف ، فالمعطف أشبه شئ
بالعصمة وكما قلنا ونكرر لترسخ المعاني : لو سرت خلف
فتاة ثم شددك إليها مشيتها وأناقته وخففة حركتها ثم بعد
إعجابك الشديد أسرع لتلاحقها مندفعاً بجوارها لتبدأ
التحية و الكلام • وفجأة وجدت التي كنت تسير خلفها
أختك • أين الإعجاب يا أخي؟ أين حركاتها الرشيقة؟

أين الأناقة التي اجتذبتك ؟ كل هذه الأشياء قد تبخرت سريعاً
لماذا؟؟ لأن الله ركب في كل مسلم العصمة محارمه حتي
يعرف معني العصمة ثم ليؤمن بها في انبياء الله ورسله :
عليهم صلوات ربنا • وأزكي تسليماته •

=

(تفسير سورة العصر)

(والعصر ٥٠ إن الإنسان لفي خسر)

اختلف سادتنا العلماء في تفسير كلمة (العصر) فمنهم من قال إن المراد به عصر النبوة ، ومنهم من قال : إنه ينطبق علي كل عصر (إن الإنسان لفي خسر) كل ما يصدر من الإنسان فهو خسارة إذا لم يقصد به وجه الله و الدار الآخرة . فالإنسان محكوم علي عمله بالخسارة إذا ما استعمل غرائزه كلها لنفسه وهواه ولم يقصد بالعمل وجه الحق سبحانه وتعالى . ثم وجه الشيخ (رحمه الله) سؤالا إلي السادة المستمعين : هل أنتم مصدقون الآن أنكم كثيرا ما تتعرضون للخسارة ؟ ثم أجاب رضي الله عنه بأن كل وقت يمر علي المسلم لا يقدم فيه عملاً صالحاً فهو في خسارة (إلا الذين آمنوا) أي صدّقوا ومن المعلوم أن التصديق يربطك بالله و برسوله و بالدار الآخرة . يربطك بالله بصفات ربوبيته . وأنه رب قادر ، رزاق كريم ، غفور ودود ، رءوف رحيم ، ثم قال الحق : (وعملوا الصالحات^(١) الخ سورة) أي بالصالحات علي سبيل الجمع

^(١) تستكمل الصورة (و تواصوا بالحق و تواصوا بالصبر)

لأن الجزاء متعدد ، حيث يضاعف الرب الكريم الحسنات لعبده ، لأنه أعلم بضعفه ، وفقره و افتقاره إلى حسناته (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها) هذا ولقد تصل الحسنة إلى سبعمائة ضعف . . (والله يرزق من يشاء بغير حساب)
و حينما قال الحق (إلا الذين آمنوا و علموا الصالحات) فتح باب التسابق إلى الخيرات علي مصراعيه فقال وقوله الحق (سابقوا إلي مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسوله . . .) وحينما فتح الله لعبده باب التسابق إلى فعل الخيرات كان ولا بد من وضع اختبارات لعباده ليمحص المؤمنين ، فمثلا النفس بطبيعتها تفرح لفعل الخير ، ولا حرج علي المؤمن في سروره بفعل الطاعة لأن سروره بعمل الخير علامة علي إيمانه . لكن أحيانا قد يتحول الفرح إلي غرور . وهنا نبهنا الشيخ (رحمه الله) إلى جهازين خطيرين في تركيبة الإنسان . وهما المشار إليهما بقول الحق تبارك وتعالى (ونفس وما سواها . . فألهمها فجورها وتقواها . . قد أفلح من زكاها . . وقد خاب من دساها)

وهنا لابد لنا من وقفه متأنيه حتي ندرك ما سيعرضه الشيخ من

بيان حيث يغيب عن البعض منا إدراك هذه المعاني لقلّة استعمالها .

وهنا لابد لنا أن نسأل . ما معني إلهام الفجور ؟ وما معني إلهام التقوي . ؟ نقول ونحن مستعينون بالله و نسأله التوفيق والصواب والقدرة علي الإيضاح . (إلهام التقوي) كل خاطر أو نية تدفعنا إلي الخير وتحثنا عليه . سواء أكان هذا الخير عملاً دينياً أم دنيوياً .

(إلهام الفجور) كل شئ يشد الإنسان إلي الخطأ أو المفسدة، أو إلي استعمال الغرائز البشرية بحسب هوي النفس وشهواتها . ويدخل في إلهام الفجور تناول المباحات وغيرها مالم تقيد بنية صالحة هذا مع ملاحظة أن تناول المباحات مما أحله الشرع : (**كلوا من طيبات ما رزقناكم**) (**قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق**) فكل ما يلزم الإنسان من مطعم ، ومشرب ، وملبس ، وزواج فلا حرج عليه بل هو حلال .

ولنضرب الأمثلة لتتضح الأمور :

قد يتصدق الإنسان بمبلغ كبير لحاجة الفقراء ، أو يهدي إلي

المستشفيات أجهزة طبية كي ينتفع بها عامة المسلمين ، أو
بناء مسجد ، أو ما شابه ذلك • حينما ننظر إلى هذه الأعمال
نسأل أنفسنا ما الباعث عليها ؟ وما القصد منها ؟؟ كل هذا
خير ، هذا مثال لإلهام التقوى ، لأنها إلهامات ربانية •
وجه الله عبده فيها إلى الخير • • • وعلينا أن نتأمل بعد هذا :
أحياناً بعد أن يتصدق المسلم يأتي إلهام الفجور فيدعو
المتصدق إلى إظهار صدقته ليتحدث الناس عن كرمه ،
و يحاول المتصدق أن يفتخر بعمله ، ويباهي به • ماذا حدث
تدخل إلهام الفجور فأفسد ما فعله إلهام التقوى •
وهنا ينشأ الصراع فإذا ما أراد الله بعبده خيراً تصدى إلهام
التقوى لإلهام الفجور وأخذ يحدث نفسه : ماذا لو أظهرت
هذا ؟ ما نتيجة الرياء ؟ لا شك أن هذا سَيُفسد عملك حينئذ
فيختفي إلهام الفجور ويعد الله وساوس النفس والشيطان ،
ويخرج العبد موفقاً راضياً بتوفيق الله شاكراً لربه عوناً على
النفس • وهذا معني قول الحق عز وجل : (قد أفلح من
زكاها) زكي إلهام الفجور بإلهام التقوى لتكون النتيجة
انتصار الخير ، واختفاء الشر •

ومثال إلهام الفجور أن يكون للإنسان صديق خاصمة
فيحاول أن ينال منه وتأخذ النفس و الشيطان في نسج خطوط
المؤامرة • وإطلاق الشائعات الكاذبة ، ولربما يكون الصديق
بريئاً مما يدبر له ، ولكنها النفس تبدو بمساوئها يساندها
الشيطان فإذا كانت إرادة الله له شراً خلاه وتركه ونفسه
فقوى إلهام الفجور ، و نفذ في صديقه كل شر دبره له ، أما
إذا أراد الله بعبد خيراً حرك إلهام التقوى وقواه ، فبدأ
يعرض علي النفس جوانب الخير ، ويذكرها بقول الله تبارك
وتعالى (**والكاظمين الغيظ ، والعافين عن الناس والله يحب
المحسنين**) ويذكرها بقوله سبحانه (**ولا تستوي الحسنة ولا
السينة • ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة
كأنه ولي حميم**) هنا تعود النفس إلى ما دعاها إليه خالقها
فتسكن وتطمئن وتنقشع سحب الشرور ، ويصبح العبد
وymi راضي البال •
وقد يعجب أخونا حينما ضرب الشيخ مثلاً وشرح قضية ،
ربما كانت بعيدة عن أذهاننا فقال : هل تتصورون أن جانب
الفجور قد يزكي أحياناً جانب التقوي • ؟؟؟

ولقد وضع ذلك بمثال : اعتاد مسلم أن يستيقظ دائما ليصلي
الفجر لكنه رأى أن نفسه قد تعودت علي ذلك فنسي فضل
ربه وفي ليلة ما استمرأ النوم ومال إلي الراحة وتكاسل حتي
طلعت الشمس ولم يدرك صلاة الفجر • هنا تأخيره عن صلاة
الفجر جعله يتذكر أنه عاش مع نفسه ونسي فضل الله
وتوفيقه • فدفعه ذلك إلي الندم والاستغفار و اللجوء إلي الله
الخالق الذي بيده أنفاسنا وحركاتنا ولو لم ينتصر إليهم
الفجور لما تنبه المغرور •

وللعلم نقول : إن إلهام التقوي ، وإلهام الفجور كما
يكونان في الأعمال الدينية ، يكونان في الأعمال الدنيوية ،
ومثال ذلك : تاجر حدثته نفسه بأن يغش في تجارته ليزداد
ربحه ، المحرك للفكر هو إلهام الفجور لكن إلهام التقوي
لا بد أن يأخذ دوره فيعرض علي صاحبه ما يجعله يتبعد عن
أفكاره • أين مباحث التموين ؟ أين رجال الرقابة ؟ الربح
القليل الدائم خير من كثير يزول ثم يحدثه : أين سُمعتك ؟ أين
الثقة التي اكتسبتها عنوكبار التجار ؟ ولا يزال إلهام التقوي
يؤيد الصدق والأمانة بكل ما لديه • حتي ينصره الله باطمئنان

قلبه إلى الطريق السليم . . أما إذا ضاع صوت الحق وانتصر
الباطل . ومالت النفس إلى الزيف و الباطل فقد باء صاحبها
بالخسران المين .

أعاذنا الله وإياكم من السلب بعد العطاء . وجمعنا وإياكم
علي الحق . و هدانا جميعاً سواء السبيل .

(وتواصوا بالحق . . وتواصوا بالصبر) من التواصي بالحق أن
يجند المؤمنون أنفسهم للانتصار له ، و الوقوف بجانبه ، فلا
ينصرفون عنه ، ولا يضعفون .

وعلي المسلمين أن يتذكروا حديث سيدنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم الذي ضرب المثل الأعلى في الشجاعة حيث قال :

(والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني ، والقمر في

يساري علي أن أترك هذا الأمر)

[ما تركته حتي يُظمره الله أو أهلك دونه)

وهكذا ظل الرسول عليه الصلاة و السلام يدعو إلى الحق في
ثبات وعزيمة لا تعرف الضعف ، وإقدام لا يعرف التردد حتي
أظهر الله كلمته ، و نصر دينه وهزم الأحزاب وحده .

ثم وصي الشيخ المؤمنين جميعاً بقوله :

والله نحن في أشد الاحتياج إلي تصديق المولي عز وجل ، وضرب
المثل علي هذا وقال لو ذهب المريض إلي الطبيب و عرض
عليه نفسه • و بعد أن قام الطبيب بفحصه أخبره أنه مريض
بالمراة ثم جاء يسأله سائل : ماذا عندك ؟ سيقول عندي
المراة ، ولم يشك في كلام الطبيب • و يخبر كل من سأله
و كأنه هو الذي اكتشف الداء • قارن بين الثقة في الطبيب •
و الثقة في الله نجد أن الثقة في الطبيب واسعة وكبيرة جداً :
أما ثقتنا بالله فهي أقل وأضعف •

أنت أيها المسلم لو قرأت السورة وصدقها (والعصر إن
الإنسان لفي خسر • إلا الذين آمنوا وعلّموا الصالحات •
وتواصوا بالحق ، وتواصوا بالصبر) نعم لو صدقها المسلم لن
تمر دقيقة واحدة من الزمن دون أن يستغلها المسلم ليكسب
بها رضا ربه ، ولأسرع إلي كل الخيرات يطلبها حتي يفوز
برضا خالقه • ثم قال علي المسلم أن يصدق الله حق التصديق
ولو لم يعمل ليكسب ثواب الله ورضاه •

ثم قال الشيخ : إذا تفاعل إلهام التقوي و إلهام الفجور •
وجاهد المؤمن نفسه ، و عمل علي انتصار الخير في نفسه فاز

وربح • وهذا معني قول الله عز وجل (قد أفلح من زكاها)
ولاشك أن من استمر علي هذا فإن إيمانه يزداد ، و يكون ممن
قال الله فيهم (يأيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم
فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ ، وَيَغْفِرْ لَكُمْ) وحينئذ تتكشف
له أمور كانت غائبة عنه ، سبحانه اللهم وبحمدك نشهد
أن لا إله إلا أنت نستغفرك ونتوب إليك •

ثم اختتم الدرس بالدعاء حينما طلب منه المستمعون ذلك :
(اللهم ارحمنا ، اللهم اهدنا وعافنا ، اللهم علمنا ما ينفعنا ،
وانفعنا بما علمتنا ، وارزقنا علماً نافعاً ، وقلباً خاشعاً ، ونوراً
ساطعاً ، وشفاءً من كل داء ، اللهم اجعل لنا من كل ضيق
فرجاً ، ومن كل بلاء مخرجاً ، و ارزقنا من حيث لا نحتسب ،
اللهم لا تحوجنا إلي خلقك ، ولا تحولنا إلي غيرك ، وتولنا في
الأمور كلها يا الله • ومتعنا اللهم بأسماعنا ، وأبصارنا وقوتنا
ما أحييتنا ، واجعله الوارث منا ، واجعل ثأرنا علي من ظلمنا
وانصرنا علي أعدائنا ، وجنبنا حب الدنيا و التعلق بها
يارب العالمين ، واغفر اللهم لنا ولكم وللمسلمين أجمعين •